الأغراضُ الشّعرية في شعر أبي الفتح البستي وأثرُها في إنتاجِ المعنى

طه حسان علي محمد
جامعة الأنبار/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية

إشراف أ.د. فراس عبدالرحمن النجار
جامعة الأنبار/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية

البريد الإلكتروني Email: tah22h2033@uoanbar.edu.iq

الكلمات المفتاحية: : الأغراض الشعرية، ابي الفتح، انتاج المعنى، مديح، هجاء.

كيفية اقتباس البحث

محمد، طه حسان علي، فراس عبدالرحمن النجار، الأغراضُ الشّعرية في شعر أبي الفتح البستي وأثرُها في إنتاجِ المعنى ،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، نيسان ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٤ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Poetic purposes in Abu al-Fath al-Busti's poetry and their impact on producing meaning

Taha Hassan Ali Muhammad
University of Anbar / College of Education for Humanities / Department of Arabic Language

Professor Dr. Firas Abdul Rahman Al-Najjar
University of Anbar / College of Education for Humanities / Department of Arabic Language

Keywords : Poetic purposes, Abu al-Fath, production of meaning, praise, satire

How To Cite This Article
Muhammad, Taha Hassan Ali, Firas Abdul Rahman Al-Najjar,Poetic purposes in Abu al-Fath al-Busti's poetry and their impact on producing meaning ,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, April2026,Volume:16,Issue 4.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

ABSTRACT

Poetic themes in Arabic poetry have a significant impact on shaping meanings, and every literary text has a specific theme that influences the poet's choice of words, images, and meanings. These are the three main themes in Abu al-Fath al-Busti's poetry: praise, satire, and elegy. Let's start with praise, which is one of his most prominent poetic themes. He aimed to highlight the good qualities of the person being praised, such as generosity, courage, and sovereignty, and he was adept at this, especially when praising caliphs and princes. As for the meanings of satire in al-Busti's poetry, they were far removed from obscenity and direct insults. Rather, he relied in his satire on clever and biting allusions rather than direct defamation. At times, his satire was closer to reproach and teasing, which indicates his sensitive nature and distinctive literary

sense. Finally, elegy was not one of Al-Busti's most frequent subjects, and deep sadness, grief, or obvious emotion did not appear in his elegies. Rather, his pieces were few and short, the most prominent of which was in the elegy for Nasir al-Din Sabuktigin, where he depicted his funeral as the Day of Judgment, and in the elegy for Al-Sahib Ibn Ubadah, where he likened his loss to the disappearance of the moon when it is full.

الملخص:

ان الأغراض الشعرية في الشعر العربي هي صاحبة الأثر الكبير في تشكيل المعاني، و أن لكل نص أدبي غرضًا محددًا يؤثر في اختيار الشاعر لألفاظه وصوره ومعانيه. وهذا ثلاثة أغراض رئيسية في شعر أبي الفتح البستي: المديح، الهجاء، والرثاء. متناولين المديح أولا والذي يعد من أبرز الأغراض الشعرية عنده، فقد كان يعمد إلى إبراز الصفات الحسنة للممدوح كالكرم والشجاعة والسيادة وكان بارعًا في ذلك، خاصة عند مدحه للخلفاء والأمراء. واما معاني الهجاء عند البستي كانت بعيدةً كل البعد عن الفحش والسب المباشر، بل اعتمد في هجائه على الإشارة الذكية واللاذعة بدلًا من التشهير بصورة مباشرة، وفي بعض الاحيان كان هجاؤه أقرب إلى العتاب والمداعبة، مما يدل على طبيعته المرهفة وحسه الأدبي المميز. أما الرثاء لم يكن من الأغراض التي أكثر منها البستي، ولم يظهر فيه الحزن العميق والتفجع أو التأثر الواضح أنما كانت مقطوعاته قليلة وقصيرة، أبرزها في رثاء ناصر الدين سبكتكين، حيث صوّر جنازته كقيام الساعة، وفي رثاء الصاحب بن عباد حيث شبه فقده باختفاء القمر عند تمامه.

المقدمة

يُعد موضوع انتاج المعنى من المواضيع ذات الأهمية الكبيرة للدراسات الأدبية، فهو يلعب دورًا محوريًا في فهم المعنى وتأويله من خلال دراسة النصوص دراسة تحليلية وتقديم معان عميقة قد تصل الى معنى المعنى فالشعر يعد من أرقى الفنون الأدبية التي تعكس وجدان الإنسان وتجسد مشاعره وأفكاره عبر العصور. وقد تنوعت الأغراض الشعرية بتنوع التجارب الإنسانية، فكان لكل غرض دوره في التعبير عن المواقف المختلفة، سواء كانت مدحا، أو رثاءً، أو هجاءً، أو غزلًا، أو غير ذلك. ولا تقتصر هذه الأغراض على كونها مجرد قوالب تقليدية، بل إنها تسهم في إنتاج المعنى وتشكيله وفقًا لسياق النص ورؤية الشاعر وتجربته.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الأغراض الشعرية وتحليل أثرها في إنتاج المعنى، وذلك من خلال استكشاف العلاقة بين الغرض الشعري واللغة المستخدمة، إضافة إلى دور الصور البلاغية

والأساليب الفنية في تعزيز الدلالات والمعاني المقصودة. كما يتناول كيفية تطور الأغراض الشعرية عبر العصور، وتأثيرها في تشكيل وعي المتلقي وفهمه للنصوص الشعرية.

كما ان أهمية هذا البحث تكمن في إلقاء الضوء على الوظيفة الجمالية والتعبيرية للأغراض الشعرية، وبيان كيف أنها ليست مجرد تصنيفات جامدة، بل أدوات حيوية تُثري المعنى وتمنحه أبعادًا متعددة تعكس روح العصر الذي ينتمي إليه النص ومع التطورات المتسارعة والتغيرات التي يشهدها هذا المجال، أصبحت الحاجة ملحة لدراسة معمقة تسلط الضوء على الجوانب المختلفة لهذا الموضوع.

التمهيد: الأغراضُ الشّعرية، وأثرُها في إنتاجِ المعنى

ان الغرض من أي شيء هو الهدف والقصد والحاجة من هذا الشيء، ولكل نص شعري أو نص نثري دائماً غرض ينتمي اليه هذه النص الادبي زهو في الشعر اظهر واكثر اتساقا ويرتبط الغرض الشعري بالبواعث النفسية للشاعر ومن خلاله يكون الشاعر شاعريته وينتج معناه، فالشاعر عندما يريد ان يكتب ابياتا شعريه فعليه أولا تحديد الغرض والذي يعد الفكرة الأولى التي تدور حولها المعاني فهو يختار المعاني التي تناسب هذا الغرض، فمثلا في غرض المديح تجد ان الشاعر حريص على الاتيان بأرقى المعاني لرفع شأن الممدوح وتعزيز مكانته مع الاهتمام بمُراعاة مقام حال السامع في المديح، وكذا الحال في غرض الرثاء فأنك تجد ان الشاعر يحاول ان يوصل حزنه وآلامه واحاسيسه من خلال معانيه الشعرية اتجاه فقيده الراحل فغرض الرثاء هو من اكثر الأغراض التي تعبر عن نفسيه الشاعر وصدق معانيه فاذا توافرت في نفس الاديب فكرة واضحة وعاطفه صادقة فأن الألفاظ والصور والعبارات تنساب وتنجذب الى الشاعر بطريقة آلية سلسة تشعر انه لا تكلف فيها ولا صنعة. وبهذا ينتج الشاعر معناه عن طريق اختيار الفاظا قادره على نقل معناه وايصاله الى اذهانهم، وكذلك في معاني الهجاء إذْ يعمد الشاعر إلى انتقاء معانيه التي يهجو بها ويختار الفاظ تختلف كثيرا عن بقية الأغراض اذ تكون هذه الألفاظ شديدة القسوة لتبرز المهجو بأسوأ صورة وحاله لذلك قيل ان الهجاء ((يصور عاطفة الغضب والاحتقار والاستهزاء))[١].

وأحياناً يصل هذا الهجاء ((لِيَتَّصلَ بالقبائل وما بينها من خصومات، فيكون الهجاء في ظاهرِهِ موجَّهاً لشخصٍ، وهو في حقيقتهِ مُوجَّهٌ للقبيلة ممثلة في هذا الفرد الذي هو زعيمها، أو شاعرها))[٢].

ولكن هذه الأغراض تعتمد اعتمادا كليا على الشاعر ومدى عبقريته في تكوين المعاني وصياغته لها لأن المهاره الفنية هي التي تعطي للغة قيمتها للوصول الى صورة شعريه متميزة وابداع متفرد[٣].

ولذلك جاء هذا المبحث محاولاً تحديد مواطن إنتاج المعاني عن طريق غرض المديح، والهجاء، والرثاء، والوقوف على بعض النصوص والابيات وتحليلها لبيان تلك المعاني وطرق إنتاجها.

المبحث الأول: معاني المديح

يعد المديح من اهم الأغراض الشعرية البارزة في الادب العربي ولقد شكل نسبة كبيره في دواوين الشعراء اذا قارناه ببقية الأغراض ولعل الأسباب لذلك متعددة منها انه وسيله يثبت بها الشاعر مدى مقدرته الفنية امام الشخصيات العليا في الدولة. يضاف الى ذلك انه يعود للشاعر بالنفع بسبب الاهتمام الكبير الذي حظي به هذا الغرض من الخلفاء والامراء اذ كان عطاؤهم للمادحين بحسب قوة المعاني الموظفة لمدحهم لذلك كان الشعراء حريصون على الاتيان بالمعاني العميقة في مدحهم للخلفاء ثم يمزجونها في منظومة إبداعية تحمل كل مقومات الشرف والعفة والقوة والشجاعة وغيرها من الصفات التي يفتخر بها. وهذه الصفات هي التي تكون دافعاً للشاعر على انتاج المعنى ((لأن انفعال الإعجاب بما للممدوح من صفات الخير والفضل، تلك التي تجعل منه إنساناً متميزا، يستحق أن تستثار بآيات فضله القرائح وتجود بمكنونها))[٤].

ولقد تنبه النُّقاد القُدامى إلى أهمية الأغراض الشعرية، ولاسيما غرض المديح بما يحقق أعلى درجات الإجادة في معانيه؛ من ذلك ما ورد عن الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) عن حُسنِ معاني المديح بقوله: ((أن يكون المديحُ صادقاً، وللظاهرِ من حالِ الممدوح موافقاً، به لائقاً، حتى لا يكون من المعبر عنه، والواصف له، إلا الإشارة إليه، والتنبيه عليه))[٥].

ومن الأسس التي يجب ان يعتمد عليها الشاعر ان يختار المعنى بطريقة وشكل يتناسب مع الممدوح مع مراعاة المقام، ويضاف الى ذلك ان قصيدة المديح في العصر العباسي تطورت و أخذت تستوعب عناصر الثقافات المختلفة من عربية وإسلامية وفارسية ويونانية وتحولها إلى زخرف عقلي جديد، وسيطر عليها التعبير بهذا اللون الفلسفي من الأضداد، وهي مع ذلك ما تزال تغمر أبياتها بالزخرف الحسي فإذا هي تزهى بثروة زخرفية رائعة؛ ففي كل جانب منها لون أو زخرف، فيه جمال وفيه فن، وفيه فلسفة وثقافة على ضروب وصور مختلفة [٦].

واما المديح عند ابي الفتح البستي فأنه يعد غرضاً أساسياً في شعره ولدينا أكثر من مائة مقطوعة في هذا الغرض وما يتصل به. فأن رئاسة أبي الفتح لديوان الانشاء الغرنوي وما ترتب عليها من الاتصال بأمراء عصره والرد على الرسائل والمكاتبات وتوثيق الصلة بينهم وبين دولته

اذ كان يستلزم تبادل المودة بين الامراء ووزرائهم وهم رجال من اهل العلم والادب ويضاف الى ذلك ما يجري من الاحداث السياسة في عهده وعمله كاتبا عن بعض الامراء كل ذلك كان له أثر في كثرة ما قاله في المديح(٧).

وذا نظرنا الى اشعار البستي نجد في اشعاره مدح جملة من امراء واعلام عصره من الادباء والعلماء. وعند مديحه لذوي السلطان يخلع عليهم من الصفات ما يحبونه او ينشد ما يريد تحقيقه منهم ومن ذلك قوله (٨): [من الكامل]

مَلِـكٌ يفـيضُ علـى العُفـاةِ سِـجالَهُ وعلـى العُـداةِ بسَـطْوِهِ سِـجِّيلا
وإذا حَبـاكَ بغُـرَّةٍ مـن مالِـهِ ثَنَّـى وأعقَـبَ غـرَّةً تَحجـيلا

وهنا حرص الشاعر على إنتاج معاني الثناء والصفات الحسنة عن طريق مَدْحِ هذا الملك بان وصفه انه ملك كريم يفيض على العافين من كرمه. وما العداة فأنه يرجمهم بحجارة من سجيل دلالة على شدة سطوه على العداة ثم يضيف صفات للملك انه كريم يعطي وحاله إذا اعطى هو الفرح. واراد بذلك ان يصل الى فكرة ترتكز على معرفته بقدرهم وهذا يجعله مستحقا للعطا والبذل منهم او يرجوا ان يحققوا له ما يأمل فيهم من رعاية في امره.

وفي موضع اخر ابدع البستي في إنتاج معناه في قوله(٩): [من الكامل]

يـا سَـيِّدَ الأُمـراءِ يـا مَـن جـودُهُ أوفـى علـى الغَيـثِ المَطيـرِ إذا همـى
الغيـثُ يُعطـي باكِيـاً مُتَجَهِّمـاً ونَـراكَ تُعطـي ناضِـراً مُتَبَسِّمـا

نلاحظ ابداع البستي في انتاج معناه في ابياته السابقة اذ بدا أولا في ذكر وتحديد وبيان مقام ممدوحة، وهو انه سيد الامراء. ثم بعد ذلك اجرى مقارنه في غايه الروعة بين ممدوحة وبين المطر وفضله على المطر ثم اخذ يبين أسباب هذا التفضيل في البيت الثاني اذ ذكر ان الغيث يأتي بوجه متهجم وهو بذلك يشبه السماء التي تتلبد بالغيوم الداكنة. وان ممدوحة يعطي وهو مبتسم والغيث يعطي باكيا وكأنه مرغم على العطاء فنلاحظ ان البستي استغل الفكرة خير استغلال واوصل لنا معاني غايه في الدقة والجمال وهذا يبين لنا مقدره فنيه متقدمة عند الشاعر.

وله أيضاً في شكر العطية قوله(١٠): [من الخفيف]

لا تَظُـنُّنَّ بـي وبِـرُّك حَـيَّ أن شُـكري كشـكرِ غَيـري مَـواتُ
أنـا أرضٌ وراحتـاكَ سـماء والأيـادي غَيْـثٌ وشـكْري نَبـاتُ

ابدع البستي في انتاج معناه في هذين البيتين فالجملة الاعتراضية وبرك حي والجمل الأخرى أتت كلها متسقة مع شكر الشاعر ويمكن ملاحظة أسلوب المقابلة في البيت الثاني بين ارض وسماء والذي كان أسلوبا جيدا كما ان الشاعر عمد التشبيه ليكمل لنا لوحة فنية وذلك عندما شبه

الايادي بالغيث والشكر بالنبات ولكن البراعة ليست هنا فقط ولكن البراعة في طريقة صياغة الجمل المنتجة للمعنى فالغيث ينبت النبات فكلما هطل الغيث زاد النبات وهذا يعني زيادة الشكر فتأمل كيف وصل الى غرضه بطريقة مهذبه رقيقة.

ومن ابياته في المدح قوله [١١]: [من البسيط]

يـــا مَـــنْ تواضُـــعُهُ عَـــوْنٌ وســـؤدُدُهْ نَجْـــــدٌ وهِمَّتُـــــهُ التَّفـــــريجُ لِلكُـــــرَبِ

اوصِ الزَّمـــانَ بِحفظـــي مِـــن نَوائِبِـــه فـــإن أَحـــداثَهُنَّ السُّـــودَ تلعَـــبُ بـــي

تأمل بساطة المعنى ودقته اذ قام الشاعر في بيته الأول بجمع عدد من الصفات الحسنه ثم وجهها نحو ممدوحة إذ بين حاله وانه في تواضعه يكون عونا لمن استعان به وفي سيادته يكون منجدا لمن استغاث به و ان همته تشتد لتفريج الكروب وبعد ان اكمل وصف ممدوحة بهذه الصفات الحسنه انتقل في بيته الثاني الى طلب في مبالغة حيث انه أشار الى ممدوحة ان يوصي الزمان بحفظه من ما ينزل به من المهمات والحوادث وقد وصف هذه الاحداث بالسود وانها تلعب به وهذا الوصف للممدوح فيه افراط ومبالغة وهذا ما ذكره قدامه (ت: ٣٣٧هـ) في حديثه عن الوصف المفرط بقوله: ((وقد وصف شعراء مصيبون متقدمون قوماً بالإفراط في هذه الفضائل، حتى زال الوصف إلى الطرف المذموم، وليس ذلك منهم إلا كما قدمنا القول فيه في باب الغلو في الشعر من أن الذي يراد به إنما هو المبالغة والتمثيل لا حقيقة الشيء)) [١٢].

ولذلك يقبل هذا الوصف من البستي للممدوح.

وكذلك قوله[١٣]: [من البسيط]ذ

يـــامَنْ غَـــدا سَـــبَبي حتَّـــى عُرِفْـــتُ بـــهِ حَسْـــبي عُـــلاكَ إلـــى نَيـــلِ المُنـــى سَـــبَبا

لَـــولْم تُـــرِدْ نَيْـــلَ مـــا أرجـــو وأطلُبُـــهُ مـــن فَـــيضِ جُـــودِكَ مـــا علَّمتنـــي الطَّلَبـــا

إذ اظهر البستي براعته في التعبير عن معاني الإعجاب والامتنان تجاه الممدوح اذ يبدأ بالثناء على الممدوح ويصفه بأنه كان من الاسباب في شهرته ورفعة مكانته. هذا يظهر مدى تأثير الممدوح على حياة الشاعر بشكل شخصي وعميق فهو الطريق لتحقيق آماله وطموحاته. فهو يرى أن الوصول إلى المرام سيكون ممكناً بفضل الممدوح ثم يقوم الشاعر بربط تحقيق أمانيه بإرادة الممدوح. هذا يُظهر أن المدح ليس مجرد كلمات، بل هو أيضًا وسيلة للتأثير على الممدوح وتحفيزه على العطاء ثم يقدم اعترافا بأنه تعلّم السعي والرغبة في تحقيق الأهداف من كرم الممدوح. فالمدح هنا ليس فقط ثناءً انما هو أيضًا تعبير عن التعلُّم والاستفادة من صفات الممدوح. الأبيات تُبرز كيف يمكن للمدح أن يكون أداة فعّالة للتعبير عن الفضل، والتوسل،

والتأثر. المدح هنا ليس فقط ثناءً، بل هو وسيلة للتأثير في الممدوح، وتعبير عن علاقة وثيقة بين الشاعر والممدوح تتجاوز كلمات الإعجاب لتشمل الدعاء والتأثير والتعلم.

وكذلك من جميل ما قال البستي في مدح خلف بن احمد [١٤]، قوله[١٥]: [من البسيط]

مَـنْ كـانَ يَبغـي عُلُـوَّ الـذِّكْرِ والشَّـرَفا ... أو يَبتغـي عَطْـفَ دَهْـرٍ قـد نَبـا وَجفـا
أو كـانَ يأمَـلُ عِنـدَ اللهِ مـــــــنزِلَ ... تُنيلُـــهُ قُـــرَبَ الأبـــرارِ والزُّلَـــــــفا
أو كـان يطلُـبُ دينـاً يسـتقيمُ بـــــهِ ... ولا يـرى عِوَجـاً فيـهِ ولا جَنَفـــــــا...
للهِ نَصْـلٌ ضـئيلٌ فـي أنامِلِـــــــــــ ... أعـادَ حَظِّـي سَـميناً بَعـدَ مـا نَحفـــا
يهـينُ أموالَـهُ كـي يَسـتفيدَ بِهـــــــ ... عِـزّاً يُؤَثِّـلُ فـي أعقابِـهِ الشَّرفـــــا
لا يلحـقُ الواصِـفُ المطـريُّ معانيَـــ ... وإن يكُـنْ سـابِقاً فـي كُـلِّ مـا وَصَفـا

تعد هذه القصيدة من أجمل قصائد المدح التي قالها البستي استعمل الأسلوب الخطابي في انتاج معناه أشار فيها الى ممدوحة بسلسلة من نعوت الفضائل ومنها الشرف والتقى والفقه والعدل والحزم والكرم وغيرها. ويمكن ملاحظة قرب المخارج في القصيدة والتكرار الملحوظ في القرب والزلفى في البيت الثاني وتكرار اخر في البيت الثالث مستخدما أسلوب التجنيس في اغلب الابيات منها في البيت الرابع بين خلفا وخلفا وفي البيت الخامس بين سلف وسلفا وفي البيت الثامن بين الصليف والصلف وبين كلف والكلفا وجلا وبلا في البيت التاسع وكذا الحال في البيت العاشر بين وصرف وصرفا ويصرف وهكذا الى اخر بيت من القصيدة التي لا تخلو من الأساليب البديعية والبيانية والتي زادت من بهاء المعنى وجمالة كما استعمل البستي الأسلوب الخطابي في ابياته والذي سماه عبد الله الطيب التكرار الخطابي والذي قال فيه: ((التكرار المراد به تقوية المعاني التفصيلية ولك أن تسميه التكرار الخطابي، لأن الشعراء أكثر ما ينحون فيه منحى الخطابة وهو نوعان: ملفوظ، وملحوظ. فالملفوظ ما ألح فيه الشاعر على استعمال كلمة بعينها، أو كلمة مقاربة لها في الاشتقاق. والملحوظ ما استعمل فيه الشاعر كلمات مترادفة أو متشابهة المعاني))[١٦].

ولم يقتصر البستي في غرض المديح على مدح الامراء والخلفاء انما كان له مديح موجه الى نظرائه من الكتاب والعلماء ومن ذلك قوله [١٧]: [من البسيط]

مـا ان سـمعت بنـوار لـه ثمـــــر ... فـي الوقـت يمتـع سـمع المـرء والبصـر
حتـى اتـاني كتـاب مـن مبتسمـا ... عـن كـل لفـظ ومعنـى اشـبه الـــدرر
فكـان لفظـك فـي آلائـه زهـــرا ... وكـان معنـاك فـي اثنائـه ثمـــــر
تسـابقا فأصـابا القصـد فـي طلـق ... لله مـن ثمـر قـد سـابق الزهـــــرا

وجه البستي معاني المديح في ابياته السابقة الى احد أصحابه ويبدو انه كان اديبا حيث امتدح الفاظه ومعانيه وادبه ولعله امتدح الاديب بعد كتاب ورد اليه من الممدوح حيث تضمن مدحه بالبلاغة وروعة البيان ووصف كتابه الوارد اليه بأقصى ما سمحت به عباراته من مدح واعلاء الشأن وذكر ما امتاز به من ادب وعلم وفضل. ووصف كتابه انه نوار أي زهر فيه ثمر يمتع من يسمعه او ينظر اليه وشبه اللفظ بالزهر والمعنى بالثمر أي الحصيلة من معناه المنتج وان اللفظ والمعنى يستبقا الى إصابة القصد.

ونرى البستي يبالغ في مدح احد من وصلوه في ساعة عسرته لما عزل وذاق الم الفقر والحرمان فيشكره على معروفه بقوله[١٨]: [من الكامل]

لمـــا تولَّيْـــتُ الأُمـــورَ وأظلَمَـــــتْ ... فـــي نـــاظِرَيَّ مـــوارِدي ومصـــادِري
ويَئســـتُ مِمَّـــن كنـــتُ أرجـــو فضـــلَهُ ... وأُعِـــدُّهُ عنـــوانَ صُـــحفِ ذخـــائري
وعلمـــتُ أنَّـــي قـــد أضـــعْتُ صـــنائعي ... ووضـــعْتُها فـــي غَيـــرِ حُـــرٍّ شـــاكِرِ
فـــأتى وفـــاؤكَ وهـــو أنـــسٌ ناضـــرٌ ... فأجـــارَني مـــن صَـــرْفِ دَهـــرٍ جـــائرِ
فَلأشـــكُرَنَّكَ شـــكرَ رَوضٍ ناضـــرٍ ... ســـمحَ الغَمـــامُ لـــه بغَيْـــثٍ باكـــرِ

هذه الابيات تعبر عن معاني نفسية عميقة، اذ يصف تجربته الشخصية بعد عزله من منصبه، وكيف مدح شخصًا مد له يد العون في وقت الشدة فهو يستخدم أسلوبًا بليغًا ليتعامل مع خيبة أمله وتحوّله إلى المدح، مما يضفي على القصيدة عمقًا إنسانيًا. فهو يبدأ بتصوير حالته بعد فقدان منصبه كما انه عبر عن الخيبة من شخص كان يعوّل عليه كثيرًا ويحسبه ذخرا له ويتأسف لثقته في الأشخاص الذين أساءوا إليه، ثم أتي التحول الكبير في مشاعر الشاعر،فيقدم ابيات في المدح يعبّر فيها عن امتنانه لشخصية أخرى شخص وفّى بوعده، وأعاده من الظلام إلى النور. "أنس ناضر" تعني أن الوفاء الذي تلقاه من هذا الشخص أشبه بالراحة التي تأتي مع رؤية شيء جميل ونافع وسط الظلام ثم يختتم الشاعر قصيدته بالتعبير عن شكره العميق لهذا الشخص الذي ساعده، مشبّهًا فعل الخير بمطر غزير يروي الأرض الجافة ولذلك يمكن القول ان هذه الأبيات ليست مجرد مدح تقليدي عابر، بل هي قصيدة تحمل رسالة إنسانية عميقة، فقد انتقل الشاعر من حالة اليأس إلى حالة الامتنان، ومن الحزن الى الفرح مما يعكس فهمًا حقيقيًا للحياة وقيمتها. استخدام التضاد بين الظلام والنور، وبين الخيانة والوفاء، يجعل المعاني المنتجة

في هذه القصيدة أكثر تأثيرًا وقوة. ومما يشار اليه ان هذا المدح الذي قدمة ابي الفتح البستي لم يكن على عطية طلبها البستي بل هي وفاء من صديق في ساعة شدة.

ولنا ان نتساءل في هذا الموضع، هل كان أبو الفتح البستي شاعرا تكسبياً يلهث خلف المال والبحث عن الغنى الجواب ان الراي الصائب في هذا الامر ان البستي لم يكن في ابياته. الأولى يستهدف منحة او عطاء من ممدوحة انما هو انطباع في نفس البستي دفعة نقله في ابيات مدح واعجاب ويضاف الى ذلك ان البستي كان يشغل مناصب رفيعة وكان رئيسا لديوان سبكتكين وصاحبه فلم يكن بحاجه الى منح وعطايا حتى انه عندما عزله الأمير سبكتكين وذاق الم الفقر والحرمان نأى عن التكسب بمدحه وانما ذكر الشكوى والالم. لكن الذي كان يحدث انه كان يمدح هؤلاء الامراء توثيقا لعلاقات وطنه بهم فيكافؤوه على ذلك بهداياهم وعطاياهم ولذلك نعتقد ان أبا الفتح البستي لم يكن من الشعراء الذين اتخذوا المديح وسيلة يتكسبون بها [١٩]. وما ذكرناه من ابيات في مديح البستي ليست الا قليل من كثير ابدع فيها في انتاج معناه.[٢٠]

المبحث الثاني: معاني الهجاء

الهجاء واحد من اهم الأغراض في شعرنا العربي وباب مهم من ابوابه، والهجاء نقيض المديح وضده لذلك يقول قدامة بن جعفر(ت: ٣٣٧هـ): ((إذ كان الهجاء ضد المديح، فكلما كثرت أضداد المديح في الشعر كان أهجى له، ثم ننزل الطبقات على مقدار قلة أصناف الأهاجي فيها وكثرتها))[٢١]. ولقد اهتم الشعراء بهذا الغرض اهتماما شديدا وحرصوا على تجويده وكان ابن رشيق (ت: ٤٥٦هـ) يرى ان الهجاء يكون بالخصال النفسية لا بالخصال الجسمية لذلك قال: ((وأجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من بعضها مع بعض، فأما ما كان في الخلقة الجسمية من المعايب فالهجاء به دون ما تقدم، وقدامة لا يراه هجواً البتة، وكذلك ما جاء من قبل الآباء والأمهات من النقص والفساد لا يراه عيباً، ولا يعد الهجو به صواباً،))[٢٢].

ويقول صاحب الوساطة القاضي الجرجاني (ت: ٣٩٢هـ) في الهجاء البليغ: ((فأما الهجو فأبلغه ما خرج مخرج التهزل والتهافت، وما اعترض بين التصريح والتعريض، وما قربت معانيه، وسهل حفظه، وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس، فأما القذف والإفحاش فسباب محض، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن))[٢٣].

ويروى عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال:((خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها فلا يقبح بمثلها)) وهذا ما أشار اليه خلف الأحمر في حديثه عن الهجاء وذكر ان اصدقه ما واعفه ما كان لفظه عفيفا ومعناه صادقا[٢٤].

وهذا هو الفرق بين الإفحاش والهجاء لذلك يقال ان من اشد الهجاء هجاء التفضيل ويسمى المقذع لان فيه موازنه في رفع هذا وإنزال ذاك ومن شواهد ذلك قول جرير[٢٥]:

فَغُضَّ الطَرفَ إنَّكَ مِن نُمَيرٍ فَلا كَعباً بَلَغتَ وَلا كِلابا

واما واقع الهجاء في العصر العباسي وهو ما يعنينا فيلاحظ انه اخذ طابعا آخر تمثل باختفاء النزعة القبليّة، وظهور النزعة القوميّة، وذلك نتيجة ظهور الحركات الشعوبيّة، وظلّ الهجاء الفردي حاضراً عند عدد من الشعراء وما الهجاء عند أبا الفتح البستي والذي يمثل صلب دراستنا فأنه لم يكثر القول فيه فلم يكن بطبعه انما كان رجلا مرهف الحس والشعور والاحساس لا ينطق بالكلام المعيب المخالف لطبعه ولطبيعته [٢٦].

ولعل ابياته التالية دليل على ذلك يقول[٢٧]: [من الكامل]

مَنْ مَبلغُ الأشرارِ عنّي أنّني مادامَ بي طَرفٌ وعِرقٌ ينبِض
أقليهُمُ طُرّاً لأنّي ضِدُّهُمْ والضِّدُّ للضِّدِّ المُنافِس يبغِضُ
وإذا رأوْني مُقبلاً فلْيعلَموا أنّي بوَجهِ الودِّ عنْهُم مُعرِض

لازال ابداع المعنى وانتاجه يتجلى عند البستي حتى في هجائه فكأنه قد وضع لنفسه منهجيه في هجائه حيث ان هجائه اقتصر على ذم من كان له شر فقط اذ بدأ الشاعر بسؤال استنكاري ومؤكدًا أنه طالما ظلّ حيًا، فلن يتراجع عن موقفه في معاداتهم ويستخدم الشاعر التضاد ليُظهر استحالة التفاهم مع أعدائه، حيث يشير إلى أن "الضدّ للضدّ" لا يمكن أن يُحِب أحدهما الآخر. الشاعر يوضح أنه لا يمكن أن يتصالح مع خصومه أو يهادنهم ما دام حي وبه عرق نابض ولم تكن هذه الضدية مجرده انما كانت مقرونة بالكره والبغض حت انه اخبر في نهايته ابياته يشير الشاعر إلى أنه إذا رآه خصومه، فلا ينبغي لهم أن يتوقعوا منه أي ودٍّ أو مودة، بل سيرفضهم ويُعرض عنهم، حتى وإن ظهر اللقاء على أنه ودّي في الظاهر. هذا يُظهر المبدأ الثابت لدى الشاعر. الهجاء في هذه الأبيات لا يقتصر على مجرد انتقاد أو تحقير للأعداء، بل هو في جوهره وسيلة لإبراز قوة الشاعر وعزيمته في الحفاظ على مبادئه. من خلال استخدام التضاد، والتأكيد على رفض التصالح، والإصرار على مواقفه، يظهر الشاعر شخصية فخورة ومستقلة. الهجاء في هذه الأبيات ليس تهجمًا تقليديًا، بل هو تصريح قوي عن الفخر والتماسك الداخلي، مما يعكس شخصية الشاعر التي لا تتنازل أمام خصومه. ونلاحظ ان البستي في هجائه تميز بسطحية المعاني وسهولتها.

وفي موضع اخر يقول [٢٨]: [من الكامل]

يـــا مُخلِـــفَ الميعـــادِ كَـــم تَجْفُونـــــي ... وَمُجَـــوِّدَ الإنشـــادِ كَـــمْ تَهْجُونـــــي
أفمـــا تـــرى فـــي ذي البَريَّـــةِ قاســـياً ... فتَـــذُمَّ قَســـوَتَهُ بِشِـــعركَ دُونـــــي
مَـــا إنْ عـــدَوْتُكَ فـــي ثَنـــائي عامِـــداً ... فبِـــأَيِّ ذَنـــبٍ فيـــهِ قَـــد تَعدُونـــــي
أنـــا شـــاكِرٌ للعُـــرْفِ نَشْـــرَ يَـــدٍ فكَـــمْ ... عِنـــدَ العَميـــدِ المُرتضـــى تَشْـــكُوني
يـــا قاسِـــياً والقـــافُ مِنـــهُ نُقطَـــــةٌ ... ومُعَرِّضـــاً فـــي شِـــعرِهِ للهُـــــونِ
رِفْقـــاً بشَـــيخٍ فـــي ودادكَ مُخلـــصٌ ... بِهَـــواكَ طُـــلَ زَمانِـــهِ مَفتـــــونُ

ومعنى الهجاء هنا جاء قريبا الى التهكم والمداعبة وكأنه موجه لصديق له والقصيدة جاءت ردا على هجاء كان قد صدر من الشخص المهجو على ما يبدو استخدم أسلوبا خطابيا بدأ بتوبيخ خصمه الذي خالف وعوده معه وأساء إليه، مستغربًا كيف يكون بارعًا في الإنشاد (الإلقاء الشعري)، لكنه يستخدم موهبته في الهجاء والإساءة بدلًا من الإنصاف وهو يسأله اما رأيت أحدا غيري فتذمه او تهجوه والبيت الثالث يبين لك ان البستي قد مدح هذا الشخص من قبل فهو يخبره انه في ثنائي لك أي مدحي ما نصبت لك العداء فأي ذنب قد عاديتني وهذه الامر تؤكد انه كان صديقا له وصولا الى قوله (رفقا بشيخ في ودادك مخلص) وما يدل ان الهجاء جاء الى التهكم اقرب في قوله(**يا قاسِياً والقافُ مِنهُ نُقطَةٌ**) فلو انا حذفنا احدى نقطتي القاف فالأمر لا يعدو اكثر من المضحك ثم يختتم كلامه بالتماس الرفق من خصمه، مشيرًا إلى أنه شيخٌ أخلص له الود، لكنه ظل مفتونًا بحبه فترة طويلة. هنا يتحول الهجاء إلى استعطاف المعاني المنتجة في الأبيات ليست هجاءً صريحًا، بل هو دفاع ذكي وعتاب لاذع، حيث استخدم الشاعر الاستنكار، والتورية، والتذكير بالفضل، ليضع خصمه في موقف المخطئ بدلًا من مهاجمته مباشرة. هذا الأسلوب يعكس مهارة البُستي في الرد بأسلوب يجمع بين اللوم والدهاء البلاغي، بدلًا من مجرد التصعيد الشعري.

ومثل ذلك قوله [٢٩]: [من الطويل]

وقـــالُوا فعظَّـــمْ قـــدرَهُ ومحلَّـــــهُ ... فـــإنَّ أبـــا الخَطّـــابِ شَـــيخٌ لـــهُ نَفْـــسُ
فقلـــتُ لـــهُ نفـــسٌ ولكِـــنْ ســـخيفَةٌ ... ونحـــنُ علـــى أمثالِهـــا أبَـــــدا....

الهجاء موجه لصديقه أبي الخطاب والابيات ومعانيها لا تعدو ان تكون تهكما او قيلت للمزح او اثارة الضحك وانها قيلت في احد مجالس الشرب. ولذلك فأن ابرز ما تم تسجيله على هجاء ابي الفتح البستي انه لم يكن هجاء في الدرجة الأولى وان مقطوعاته الشعرية خلت من الهجاء المقذع. وان مقطوعاته الهجائية اقرب للتهكم والمزاح في بعض منها.

وله أيضا[٣٠]: [من مجزوء الرجز]

لنـــــــا صـــــــديق إن رأى مهفهفـــــــاً لاطفـــــــه
فـــإن يكـــن فـــي دهرنـــا ذو ابنـــــــةٍ لاط فهـــــــو

يُظهر استخدام الشاعر أبو الفتح البستي لأسلوب هجاء ذكي وساخر في انتاج معناه، فهو يعتمد على التلميح أكثر من التصريح، مما يجعل المعنى يظل خفيًا في البداية ولكنه يصل بقوة إلى المتلقي بعد التأمل شير إلى شخص شاب وجميل أو قد يكون تعبيرًا مجازيًا عن الشخص الذي يتمتع بحيوية أو أناقة. ومن خلال هذه الصورة، يُظهر الشاعر صديقه على أنه شخص سريع التودد واللطافة، يحرص على إقامة علاقات مع من يراه جذابًا أو يثير إعجابه، وهذا يوحي بخفة أو سذاجة في سلوك هذا الشخص. ثم يأتي التصعيد الساخر، إذ يربط بين تصرفات هذا الشخص وبين ما قد يحدث في المستقبل، مشيرًا إلى أنه إذا استمر الحال، فكل من كان لديه ابنة سيكون عرضة لموقف مشابه، البيت الشعري يُظهر كيف يمكن الهجاء اللاذع أن يكون مؤثرًا دون اللجوء إلى ألفاظ فاحشة أو مهينة مباشرة. بدلاً من ذلك، اعتمد الشاعر على التلميح الذكي، مما جعله يترك انطباعًا قويًا وأكثر تأثيرًا. الهجاء هنا أكثر فنيًا ورقيًا، ويعكس مهارة الشاعر في استخدام الأسلوب الساخر الذي يوصل المعنى بقوة وبلاغة.

كما ان انتاج المعنى او البحث عن الدلالة في هجاء البستي لم يكن على درجة عالية من الصعوبة فالتشبيهات كما وجدنا قليلة وكذلك الاستعارات وحتى الأساليب البديعية كانت قليلة الحضور جدا في مقطوعاته الشعرية ولعل السبب في ذلك كما ذكرنا في البداية انه لم يكن هجاء بطبعه انما كان رجلا مرهف الحس والشعور والاحساس لا ينطق بالكلام المعيب المخالف لطبعه ولطبيعته.

المبحث الثالث: معاني الرثاء

يعد الرثاء من اهم الأغراض الشعرية التي تساهم في انتاج المعنى كون هذا الغرض يرتبط بمشاعر المبدع ارتباطا وثيقا فيحاول المبدع ان ينتج معنى يعبر عن حزنه وآلامه بطريقة ملفته، محمله بالكثير من المشاعر الصادقة والحزن.

ولا يوجد فرق بين الرثاء والمديح الا ان الرثاء يدخله شيء يدل على ان الممدوح ميت يقول ابن رشيق (ت:٤٥٦هـ): ((«وليس بين الرثاء والمدح فرق؛ إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل " كان " أو " عدمنا به كيت وكيت " وما يشاكل هذا وليعلم أنه ميت. وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع، بين الحسرة، مخلوطاً بالتلهف والأسف والاستعظام، إن كان الميت ملكاً أو رئيساً كبيراً))[٣١]. سأل احدهم بعض الاعراب :((ما بال اصدق اشعاركم الرثاء؟ قال : لأننا نقوله وقلوبنا موجعة ، فالألم يعتصر النفوس لكنه ينقيها ، والفرح ينعشها

ولكنه يطغيها ، والقلوب تكون موجعة بفقد عزيز فيسيل هذا التوجع على الشفاه كلمات موجعة))[٣٢].

وان انتاج الشاعر للمعاني من خلال الألفاظ التي تعكس وتبين لنا المأساة والحالة النفسية وحزنه على فقيدة بشعور صادق وعاطفة جياشة فأنه سوف يشكل لنا لوحة فنية تحمل معاني الفخر والعزة للشخص المرثي فالمعنى خارج من القلب لا من اللسان وما خرج من القلب محلة القلب.

والرثاء من الموضوعات القريبة الى النفس، وهو يشكل ديواناً كبيراً في أدبنا العربي، وكان للشعراء العباسيين نصيب وافر فيه، إذ نجدهم قد رثوا خلفاءهم وولاتهم ووزراءهم وقوادهم، ورثوا مدنهم التي نزلت بها الكوارث، ورثوا حيواناتهم المستأنسة، وطيورهم الصادحة، حتى رثى بعضهم شبابه ونفسه وعضواً ذهب من جسده .... إنهم جادوا بدموع غزيرة على كل شيء عزيز عندهم وأثير لديهم بمقطوعات وقصائد مستقلة قائمة بذاتها .

واما أبو الفتح البستي فأننا لم نجد له اكثارا في هذا الغرض فكل ما وجدنا له اربع مقطوعات شعرية في الرثاء اثنان منها قالها في ناصر الدين سبكتكين وواحده في الصاحب بن عبادة وواحده في ابي العباس المزني الفقيه الشافعي وهي مقطوعات قصيرة[٣٣].

ومن ذلك قوله يرثي ناصر الدين سبكتكين[٣٤]: [من الخفيف]

قلْتُ إذْ ماتَ ناصِرُ الدِّينِ والدُّن ... يا وَحيّاهُ رَبُّهُ بالكَرامَهْ

وتداعَتْ جُموعُهُ بافتِراقٍ ... هَكذا هَكذا تقومُ القِيامَهْ

ان براعة المعنى في هذه الابيات تكمن في البيت الثاني فقد رثى ناصر الدين وعرف به في البيت الأول وانه قال يوم موته ان الله حياه بالكرمة ثم قدم لنا معنى وصورة غايه في الجمال والروعة وهي كيف ان الجموع تتدافع في يوم وفاته وجنازته بافتراق أي من كل حدب وصوب ثم اكد هذا الجمع بتكرار هكذا وشبهة بيوم القيامة أي يوم حشر الناس وتدافعهم واجتماعهم. الشاعر يستخدم لغة قوية وصورًا مؤثرة، مثل تشبيه موت الشخصية بقيام القيامة، لإظهار مدى تأثير هذا الفقدان على المجتمع. المعاني المليئة بالحزن والأمل في العدالة الإلهية تعكس قيمًا إنسانية وروحية عميقة، مما يجعل هذه الأبيات تحمل رسالة قوية عن قيمة الشخصيات العظيمة وتأثيرها في حياة الناس

ومن المواضع الأخرى التي رثى فيها ناصر الدين قوله[٣٥]: [من المتقارب]

توكل على الله في كلِّ ما ... تحاوله واتخذه وكيلا

ولا يخدعنك شرب صفا ... فأظمأ قليلاً وأروى غليلا

فإنَّ الزمان يذل العزيز ... ويجعل كل جليل ضئيلا

ألـــم تـــر ناصـــر ديـــن الإلـــه ... وكـــان المهيـــب العظـــيم الجلـــيلا
أعـــد الفيـــول ، وقـــاد الخيـــولَ ... وصـــيَّرَ كـــل عزيـــز ذليـــلا
وأوهمـــه العـــز أنَّ الزمـــان ... إذا رامـــه ، نـــد عنـــه كليـــلا
كـــذلك يفعـــل بالشامتـــين ... ويفنـــيهم الـــدهر جـــيلا فجـــيلا
أتتـــه المنيـــةُ مُغتالـــةً ... وســـلَّت عليـــه حســـاماً صـــقيلا
فلـــم يُغـــن عنـــه كمـــاةُ الرجـــال ... ولـــم يجـــد فيـــل عليـــه فتيـــلا

انتج البستي في هذه الابيات الرثائية معان عده اذ تشعر أولا ان المعاني غير متناسقة في ما بينها في نص واحد وبعضها كأنه خروج عن المألوف ولا تشعر ان هناك تحسر او حزن شديد على فقد المرثي ولاسيما انه بدا ابياته بالوعظ والتذكير والتوكل على الله وان الدنيا لك وعليك . اما في بيته الثالث جعل من الموت مذله وهذا غير لائق على ممدوحه وعلى من نصر الدين فأن الله ابدلهم بدار خير من دارهم .ثم مدح المرثي في البيت الرابع والخامس مدحا يلق به وانه المهيب العظيم الجلي الذي اعد الجيوش والخيول وجعل كل عزيز من اعدائه ذليل، وبعد كل هذا المدح والثناء ينتقل بالمعنى في البيتين السادس والسابع وهما غير لائقين اذ ذكر ان العز اوهمه وبعدها ساوه بالشامتين في قوله (وكذلك يفعل بالشامتين) وان الدهر يفنيهم جيلا بعد جيل. ثم تحدث عن المنية وانها جاءته بغته وسلت عليه سيفا مصقولا وانه رغم اجتماع الرجال حوله فلم يغن عنه ذلك وما نراه ان هذه المقطوعة الشعرية بارده ليس فيها ما يثير الحزن على المرثي.

وله مقطوعة أخرى يرثي بها الصاحب بن عبادة وهي قوله[٣٦]: [من الطويل]

مضـى الصّـاحِبُ الكـافي ولـم يَبـقَ بعـدَهُ ... كَـريمٌ يُـرَوِّي الأرضَ فَـيضُ غَمامِـهِ
فَقَـدناهُ لّمـا تـمَّ واعـتمَّ بالعُـلا ... كـذاكَ خُسـوفُ البَـدرِ عنـدَ تَمامِـهِ

اجاد البستي في هذه الابيات في انتاج معناه وأشار الى مضي الصاحب بن عباده وانه لم يبقى من بعده أي كريم والكلام على وجه العموم وشبهه بالغيم المحمل الذي يروي الأرض من كرمه وما يهطل منه ثم اعقب ذلك بتشبيه اخر استدعى اركانه متكأ على التشبيه التمثيلي في احدى صور الطبيعة للقمر ليلة اكتماله ذلك الذي يأذن بزواله وخسوفه المباشر بعد ساعات قليلة فالمرثي وسرعة ذهابه كذلك القمر الذي هل به الخسوف والنقص مما جعل المعنى اكثر جمالا وتأثيرا .

وكذلك في رثاء ابي العباس المزني الفقيه الشافعي قال[٣٧]:[من الطويل]

فلّمـــا دفَنّـــا جِســـمَهُ فـــي تُرابِـــهِ جعلْـتُ صَـميمَ القَلـبِ منِّـي لـهُ قَبْـرا
وبَوَّأْتُـــهُ سِـــرَّ الفـــؤادِ فكلَّمـــا همَمْـتُ بـأنْ أنسـاهُ جَـدَّدني ذِكْـرا

ابلغ ما انتج البستي في معاني الرثاء هذان البيتان اذ تجلى لنا مدى حزن البستي على فقيده فقد ترجم هذه المحبة بإنزاله منزلة رفيعة في نفسه وقلبه، فأبو الفتح يخبرنا ان التراب وارى جسده كأي راحل فقد شارك قلبه فيه فبواه الفؤاد ومعلوم ان القلب هو الجارحة وقد يأتي بمعنى العقل اما الفؤاد فهو غشاء القلب الذي عرف برقته ومنه تنفذ الاوجاع ويشعر بها الانسان فقال(فكلَّمـا همَمْتُ بأنْ أنساهُ جَدَّدني ذِكْـرا) وهذا من بليغ ما قيل في الرثاء عند البستي.

ومما يشار اليه ان الدكتور مرسي الخولي ذكر انه لم يكثر الرثاء في شعر البستي وكل ما لدينا عنه اربع مقطوعات. لكننا عثرنا على مقطوعة خامسة رثى فيها ناصر الدين سبكتكين وهي قولـه[٣٨]: [مـن البسيط]

يـا شـادِناً غـابَ نَجـمُ الحُسْـنِ لَـولاهُ مـا كـانَ يوسـفُ لّمـا مـاتَ وَلاّهُ
وَلاّهُ رِقِّـي ظَـرْفٌ فـي شَمائِلِـهِ فاشـتَطَّ فـي الحُكـمِ لّمـا أنْ تَـوَلاّهُ
اِرحَـمْ فتـىً مُـدْنَفاً مـا إنْ يُخَلِّصُـهُ مِـن غَمْـرَةِ العِشـقِ إلاّ أنْـتَ وَاللهُ

بدأ مرثيته بالنداء يا شادن أي بمعنى ولد الغزال وانه لولاه لغاب نجم الحسن ثم انتقل بالمعنى للحديث عن وصية ناصر الدين بولاية ابنه يوسف سبكتكين وانه تولى الحكم في ارقى الظروف في الدولة الغرنويه ولكنه اشتط في الحكم بمعنى تباعد عن الحق ليعود الى غرضه وهو الرثاء في بيته الأخير داعيا الله جل جلاله ان يرحم مدنفا بمعنى من شارف على الموت وانه لن يخلصه من شدة عشقه الا انت يا الله.

وأخيرا ان اهم ما لاحظته في غرض الرثاء عن البستي انك لا تجد اثرا لوقوع الحادثة في نفسه ولم يستطع ان يؤدي الغرض على ما هو متعارف عليه في الرثاء الا في معان قليلة فلم نلحظ الاجادة في المراثي الا في الشاهد الأخير على الرغم من ان البستي شاعر من شعراء الحكمة والغرضان متقاربان ومن اجاد في احدهما اجاد في الاخر ولعل السبب وراء ذلك انه ربما قال الرثاء في شبابه والحكمة في كهولته .

الخاتمة

بعد استعراض الأغراض الشعرية ودورها في إنتاج المعنى، يتضح أن الشعر ليس مجرد تعبير عن مشاعر وأفكار، بل هو أداة فنية تُصاغ من خلالها الرؤى والمواقف وفقًا لسياقها

التاريخي والاجتماعي والثقافي. لقد أظهرت الدراسة أن الأغراض الشعرية ليست قوالب ثابتة، بل تتفاعل مع التجربة الشعرية لتشكيل دلالات ومعانٍ متعددة، مما يمنح النصوص الشعرية عمقًا وتأثيرًا أكبر.

توصل البحث إلى أن الغرض الشعري يؤثر بشكل مباشر في اختيار الألفاظ والصور البلاغية والأساليب التعبيرية، مما ينعكس على إنتاج المعنى وتلقيه. كما أن تطور الأغراض الشعرية عبر العصور يعكس التغيرات الفكرية والاجتماعية التي مر بها الأدب العربي، ما يجعل دراسة هذه الأغراض ضرورة لفهم التحولات في الخطاب الشعري.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن الأغراض الشعرية تظل عنصرًا جوهريًا في بنية الشعر العربي، حيث تساهم في تعزيز جماليات النصوص وإثراء معانيها. لذا، فإن المزيد من الدراسات في هذا المجال يمكن أن يسلط الضوء على أبعاد جديدة للعلاقة بين الغرض الشعري والمعنى، مما يفتح آفاقًا جديدة لفهم الشعر العربي في سياقاته المتعددة.

الهوامش

(١) مذاهب الادب معالم وانعكاسات، ياسين الايوبي: ٣٦.

(٢) الهجاء والهجاؤون في الجاهلية: ٩٩.

(٣) في المصطلح النقدي، احمد مطلوب: ١٦٢.

(٤) العاطفة والابداع الشعري، عيسى العاكوب: ٧٧.

(٥) رسائل الجاحظ: ٣٦/١.

(٦) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف: ٢٦٢.

(٧) ينظر: أبو الفتح البستي حياته وشعره للخولي: ١٢٢.

(٨) ديوان البستي: ٢٨٠.

(٩) المصدر نفسه: ٢٩١.

(١٠) ديوان البستي: ٤٨.

(١١) المصدر نفسه: ٢٢٥.

(١٢) نقد الشعر لقدامه: ٢٢.

(١٣) ديوان البستي:٣٧.

(١٤) خلف بن أحمد بن محمد بن خلف [أبو أحمد السجزي]، الأمير بن الأمير، ومن بيت ولاة خراسان. ينظر: تاريخ نيسابور طبقة شيوخ الحاكم: ٢٤٨.

(١٥) ديوان البستي:٢٧٠-٢٧١.

(١٦) المرشد إلى فهم أشعار العرب: ١٣٧/٢.

(١٧) ديوان البستي: ٩٤.

(١٨) ديوان البستي: ٩٥.

(١٩) ينظر: أبو الفتح البستي حياته وشعره: ١٢٧-١٢٨.

(٢٠) ينظر ديوان البستي : ٣٧-٣٥-٢٢٥-٥٣-٢٨٩-٣١-٢٢٥-٣٨-١٢٦—١٢٧-١٧٦-٥٣٥٤.

(٢١) نقد الشعر: ٣٠.

(٢٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيق: ١٧٤/٢.

(٢٣) المصدر نفسه :١٧١/٢.

(٢٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٧٠/٢.

(٢٥) ديوان جرير: ٦٣.

(٢٦) ينظر: أبو الفتح البستي حياته وشعره: ١٢٩.

(٢٧) ديوان البستي: ١٤.

(٢٨) ديوان البستي: ١٩٦.

(٣٠) ديوان البستي: ١١١.

(٣٠) المصدر نفسه: ١٣٢.

(٣١) العمدة في محاسن الشعر وآداب: ١٤٧/٢.

(٣٢) كتاب المدينة في العصر الجاهلي: محمد الخضراوي: ١٣٠.

(٣٣) ينظر أبو الفتح البستي حياته وشعره: ١٣٠.

(٣٤) ديوان البستي: ١٦٧.

(٣٥) المصدر نفسه: ١٤٤.

(٣٦) ديوان البستي: ٢٩٦-٢٩٧.

(٣٧) المصدر نفسه: ٢٥٠.

(٣٨) ديوان البستي: ٢١٤.

المصادر:

١-ديوان البستي، تحقيق درية الخطيب، لطفي الصقال، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٤١هـ/ ١٩٨٩م.

المراجع:

١-أبو الفتح البستي حياته وشعره، د محمد مرسي الخولي، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٠م.

٢-ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، ٠١ يناير ١٩٩١م.

٣-رسائل الجاحظ (ت:٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٤- العاطفة والابداع الشعري، عيسى علي العاكوب، دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٢م.

٥- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت:٤٥٦هـ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٦- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (ت ١٤٢٦هـ) دار المعارف بمصر، ط١٢، ٢٠٠٦م.
٧- في المصطلح النقدي، د احمد مطلوب، منشورات المجمع العلمي، مطبعة المجمع العلمي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٨-مذاهب الادب معالم وانعكاسات، ياسين الايوبي، دار الشمال، ١٩٨٧.
٩- المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله بن الطيب بن عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب (ت ١٤٢٦هـ)، دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصفاة – الكويت، ط٢، سنة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
١٠- نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (ت ٣٣٧هـ)، مطبعة الجوائب – قسطنطينية ط١، ١٣٠٢هـ.
١١-الهجاء والهجّاؤون في الجاهلية، محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، ط٣، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

Sources:
1- Diwan Al-Basti, edited by: Durya Al-Khatib, Lutfi Al-Saqqal, Arabic Language Academy, Damascus, 1941 AH/1989 AD.

references:
1- Abu al-Fath al-Basti, His Life and Poetry, Dr. Muhammad Mursi al-Khawli, Dar al-Andalus for Printing, Publishing and Distribution, 1st ed., 1980.
2- Diwan Jarir, Beirut Printing and Publishing House, January 1, 1991.
3- Letters of Al-Jahiz (d. 255 AH), edited and explained by: Abd al-Salam Muhammad Harun, Al-Khanji Library, Cairo, 1399 AH/1979 AD.
4- Emotion and Poetic Creativity, Issa Ali Al-Akoub, Dar Al-Fikr Al-Mu'aser, 2002AD.
5- Al-Umda in the Beauties of Poetry and its Etiquette, Abu Ali al-Hasan ibn Rasheeq al-Qayrawani al-Azdi (d. 456 AH), edited by: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Dar al-Jeel, Beirut, 5th ed., 1401 AH/1981 AD.
6- Art and its Schools in Arabic Poetry, Ahmed Shawqi Abdel Salam Dayf, known as Shawqi Dayf (d. 1426 AH), Dar Al Maaref, Egypt, 12th ed., 2006 AD.
7- In Critical Terminology, Dr. Ahmed Matloub, Scientific Academy Publications, Aleppo Academy Press, 1423 AH/2002 AD.
8- Literary Schools: Landmarks and Reflections, Yassin Al-Ayyoubi, Dar Al-Shamal, 1987AD.
9- The Guide to Understanding Arab Poetry, Abdullah bin Al-Tayeb bin Abdullah bin Al-Tayeb bin Muhammad bin Ahmad bin Muhammad Al-Majdhub (d. 1426 AH), Dar Al-Athar Al-Islamiyyah, Ministry of Information, Al-Safa, Kuwait, 2nd ed., 1409 AH/1989 AD.
10- Poetry Criticism, Qudamah ibn Ja`far ibn Qudamah ibn Ziyad al-Baghdadi, Abu al-Fath (d. 337 AH), Al-Jawa'ib Press, Constantinople, 1st ed., 1302 AH.

11- Satire and Satirists in Pre-Islamic Times, Muhammad Hussein, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Beirut, 3rd ed., 1389 AH/1970 AD.